هـذا كتاب المضنون به على غير أهله للشيخ
الامام حجة الاسلام زين الدين أبي
حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى
الطوسى نفع الله
ببركاته
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على موجب ما هدانا الى حمده ووفقنا للقيام بشكره والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف من انتسب الى آدم عليه السلام وعلى صحبه الاخيار اعلم أن لكل صناعة أهلا يعرف قدرها ومن أهدى نفائس صناعة الى غير أربابها فقد ظلمها وهذا علق نفيس مضنون به على غير أهله فمن صانه عمن لا يعرف قدره فقد قضى حقه أكرمت بهذا العلق على سبيل التهادى أخى وعزيزى أحمد صانه الله عن الركون الى دار الغرور وأهله لمعرفة بعض حقائق الاشياء التى كانت معرفة جميعها مطلوبة لسيد ولد آدم عليه السلام حيث قال أرنا الاشياء كما هى وهذا العلق المضنون به على غير أهله يشتمل على أربعة أركان (الركن الاول) فى معرفة الربوبية (الركن الثانى) فى معرفة الملائكة (الركن الثالث) فى حقائق المعجزات (الركن الرابع) فى معرفة ما بعد الموت والانتقال من الدنيا الى العقبى وفقنا الله تعالى لما يرضى ويحب فانه خير موفق ومعين واليه المرجع والمصير

(الركن الاول فى علم الربوبية)

(فصل) الزمان لا يكون محدودا وخلق الزمان فى الزمان أمر محال فاليوم هو الكون الحادث فى اللغة وأيام الله حيث قال وذكرهم بأيام الله مراتب مخلوقاته

ومصنوعاته

ومصنوعاته ومبدعاته من وجوه (منها) قوله فى أربعة أيام فيوم مادة السماء ويوم صورتها ويوم كواكبها ويوم نفوسها وقوله خلق الارض فى يومين المادة والصورة ومادة السموات ومادة بروجها صورة واحدة ومادة الارض مادة مشتركة بين أزواج وخول وهى أخس لانها مثل مومسة تقبل كل ناكح (ومنها) الجماد والمعدنيات داخلة فى الجماد والنبات والحيوانات العجم والانسان (ومنها) الارض والماء والهواء والنار والآثار العلوية والاجرام السماوية وكل ماهو فوق الارض فهو سماء من طريق اللغة لان أهل اللغة تقول كل ما علاك فهو سماؤك وكل مادون الفلك يعنى فلك القمر بالنسبة الى الافلاك أرض لقوله ومن الارض مثلهن (الاولى) كرة النار (والثانية) كرة الهواء (والثالثة) كرة الطين المجفف الذى فوق الماء (والرابعة) الماء (والخامسة) الارض البسيطة (والسادسة) الممتزجات من هذه الاشياء (والسابعة) الآثار العلوية

(فصل فليرتقوا فى الاسباب) الارتقاء صعود الاخس الى الاشرف حتى ينتهى الى واجب الوجود كما قال تعالى وان الى ربك المنتهى وقوله تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب وقوله تعالى أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما الاول انطباق فلك البروج على معدل النهار والفتق بعد الرتق ظهور الميل

(فصل الرزق مقدر مضمون) وهو من المعقولات لا من المنقولات لان الحق تعالى عقل ذاته وما توجبه ذاته فهو قد عقل جميع الموجودات وان كان بالقصد الثانى وانما يجب وجود كل واحد منها أعنى من الموجودات المبدعات على ما وجد لانه سبحانه وتعالى يعقل وجود الكل من ذاته فكما أن تعقله ذاته لا يجوز أن يتغير كذلك تعقله لكل ما توجبه ذاته ولكل ما يعقل وجوده من ذاته لا يتغير بل يجب وجود كل ذلك ووجود أنواع الحيوانات وبقاؤها متعقل لا شك فيه خصوصا النوع الانسانى والنوع انما يبقى مستحفظا بالاشخاص وبلوغ كل شخص الى الغاية التى يمكن أن يولد شخصا آخر مثله لا يمكن الا ببقائه مدة وبقاؤه تلك المدة لا يصح الا بما فيه قوام الحياة وقوام الحياة بالرزق لانه تعالى يعقل وجود الكل من ذاته ووجود ما يعقله من ذاته واجب وتعقل بقاء النوع الانسانى ببقاء الاشخاص وتناسلهم وتعقل تناسلهم

ببقاء كل شخص وتعلق بقاء كل شخص مدة بما فيه قوام حياته وهو الرزق والرزق انما يكون من النبات والحيوان وهما الخبز واللحم والفواكه من جملة النبات وأكثر الحلاوى فوجب أن يكون الرزق مضمونا بتقدير الرؤف الرحيم لذلك قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون

(فصل) من لا يعرف حقيقة الرؤيا لا يعرف حقائق أقسام الرؤيا ومن لا يعرف حقيقة رؤيا الرسول عليه السلام وسائر الرسل بل رؤيا الذين ماتوا لا يعرف رؤيا الله تعالى فى المنام والعامى يتصور أن من رأى رسول الله فى المنام فقد رأى حقيقة شخصه وكما أن المعنى الذى وقع فى النفس حاكى الخيال عنه بلفظ فكذلك كل نقش ارتسم فى النفس يمثل الخيال له صورة ولا أدرى أنه كيف يتصور رؤية شخص الرسول فى المنام وشخصه مودع فى روضة المدينة وما شق القبر وما خرج الى موضع يراه النائم وان سلمنا ذلك فربما راه فى ليلة واحدة ألف نائم فى ألف موضع على صور مختلفة والوهم يساعد العقل فى أنه لا يمكن تصور شخص واحد فى حالة واحدة فى مكانين ولا على صورتين طويل وربع وشاب وكهل وشيخ ومن لا تحيط معرفته بفساد هذا التصور فقد قنع من غريزة العقل بالاسم والرسم دون الحقيقة والمعنى ولا ينبغى أن يعاتب بل لا ينبغى أن يخاطب فلعله يقول ما راه مثاله لا شخصه ويقال هو مثال شخصه أو مثال حقيقة روحه المقدسة عن الصورة والشكل فان قال هو مثال شخصه الذى هو عظمه ولحمه فأى حاجة الى شخصه وشخصه فى نفسه متخيل ومحسوس ثم من رأى شخصه بعد الموت دون الروح فكأنه ما رأى النبى بل رأى جسما كان يتحرك بتحريك النبى عليه الصلاة والسلام فكيف يكون رائيا له برؤية مثال شخصه بل الحق أنه مثال روحه المقدسة التى هى محل النبوة فما رآه من الشكل ليس هو روح النبى وجوهره ولا شخصه بل مثاله على التحقيق (فان قيل) فأى معنى لقوله عليه الصلاة والسلام من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى (قلنا) لا معنى له الا أن ما رآه مثال واسطة بين النبى وبينه من تعريف الحق اياه فكما أن جوهر النبوة أعنى الروح المقدسة الباقية من النبى بعد وفاته منزهة عن اللون والشكل والصورة ولكن تنتهى تعريفاته الى الامة بواسطة مثال صادق ذى شكل ولون وصورة واذا

كان جوهر النبوة منزها عن ذلك فكذلك ذات الله منزه عن الشكل والصورة ولكن تنتهي تعريفاته الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره من الصور الجميلة التي تصلح أن تكون مثالا للجمال المعنوي الحقيقي الذي لا صورة له ولا لون ويكون ذلك المثال صادقا وحقا وواسطة في التعريف فيقول النائم رأيت الله تعالى في المنام لا بمعنى أني رأيت ذاته كما يقول رأيت النبي لا بمعنى أنه رأى ذات النبي وروحه أو ذات شخصه بل بمعنى أنه رأى مثاله (فان قيل) ان النبي له مثل والله تعالى لا مثل له (قلنا) هذا جهل بالفرق بين المثل والمثال فليس المثال عبارة عن المثل فالمثل عبارة عن المساوي في جميع الصفات والمثال لا يحتاج فيه الى المساواة فان للعقل معنى لا يماثله غيره (ولنا) أن نصور الشمس له مثالا لما بينهما من المناسبة في شيء واحد وهو ان المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات بالعقل فهذا القدر من المناسبة كاف في المثال بل السلطان يمثل في النوم بالشمس والقمر بالوزير والسلطان لا يماثل الشمس بصورته ولا بمعناه ولا الوزير يماثل القمر الا أن السلطان له استعلاء على الكافة ويعم أثره الجميع والشمس تناسبه في هذا القدر والقمر واسطة بين الشمس والارض في افاضة أثر النور كما أن الوزير واسطة بين السلطان والرعية في افاضة أثر العدل فهذا مثال وليس بمثل والله تعالى قال (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) فأي مماثلة بين نوره وبين الزجاجة والمشكاة والشجرة والزيت قال الله تعالى (انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا الآية) ذكر ذلك تمثيلا للقرآن والقرآن صفة قديمة لا مثل له فكيف صار الماء له مثالا وكم من المنامات عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من رؤيا باللبن أو حبل فقال اللبن هو الاسلام والحبل هو القرآن الى أمثال له لا تحصى وأي مماثلة بين اللبن والاسلام والحبل والقرآن الا في مناسبة وهو أن الحبل يتمسك به للنجاة والقرآن كذلك واللبن غذاء تغذى به الحياة الظاهرة والاسلام غذاء تغذى به الحياة الباطنة فهذا كله مثال وليس بمثل بل هذه الاشياء لا مثل لها والله تعالى لا مثل له لكن له أمثلة محاكية لمناسبات معقولة من صفات الله تعالى فانا اذا عرفنا المسترشدان الله تعالى كيف يخلق الاشياء وكيف يعلمها وكيف

يريدها وكيف يتكلم وكيف يقوم الكلام بنفسه مثلنا جميع ذلك بالانسان ولولا
ان الانسان عرف من نفسه هذه الصفات لما فهم مثاله في حق الله تعالى فالمثال في حق
الله تعالى جائز والمثل باطل فان المثال هو ما يوضح الشئ والمثل ما يشابه الشئ (فان
قيل) هذا التحقيق الذي ذكرتموه ليس يفضي الى ان الله تعالى يرى في المنام بل
الى ان الرسول أيضا لا يرى فان المرئي مثاله لا عينه فقوله من رآني في المنام فقد رآني
فهو نوع تجوز معناه كأنه رآني وما سمع من المثال كأنه سمع مني (قلنا) وهذا
ما يريده القائل بقوله رأيت الله تعالى في المنام لا غير أما ان يريد به انه رأى ذاته على
ما هو عليه فلا فانه حصل الاتفاق على ان ذات الله تعالى لا ترى وان مثالا يعتقده
النائم ذات الله تعالى أو ذات النبي يجوز ان يرى وكيف ينكر ذلك مع وجوده في
المنامات فان لم يره بنفسه فقد تواتر اليه من جماعة انهم رأوا ذلك الا أن المثال المعتقد قد
يكون صادقا وقد يكون كاذبا ومعنى الصادق ان الله تعالى جعل رؤياه واسطة بين الرائي
وبين النبي في تعريف بعض الامور وفي قدرة الله تعالى خلق مثل هذه الواسطة بين
العبد وبين اتصال الحق به وهو موجود فكيف يمكن انكاره (فان قيل) اذا كانت
رؤية الرسول تجوزا فالتجوز انما قد اذن في اطلاقه في حقه ولا يجوز في حق الله تعالى
من الاطلاقات الا ما ورد الاذن به (قلنا) قد ورد الاذن باطلاق ذلك فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي في أحسن صورة وهذا مما أورد في الاخبار التي
وردت في اثبات الصورة لله تعالى حيث قال ان الله خلق آدم على صورته وليس المراد
به صورة لذات اذ الذات لا صورة لها الا من حيث التجلي بالمثال كما تجلى جبريل في
صورة دحية الكلبي وفي غيرها من الصور حتى انه رآه مرارا كثيرة وما رآه في صورته
الحقيقية الا مرة أو مرتين وتمثل جبريل في صورة دحية الكلبي ليس بمعنى انه انقلب
ذات جبريل صورة دحية الكلبي بل انه ظهرت تلك الصورة للرسول مثالا مؤديا عن
جبريل ما أوحي اليه وكذلك قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا واذا لم يكن ذلك استحالة
في ذات الملك وانقلابا بل يبقى جبريل على حقيقته وصفته وان ظهر للنبي في صورة دحية
الكلبي فلا يستحيل مثل ذلك في حق الله تعالى في يقظة ولا في منام فهذا ما يدل من
جهة الخبر على جواز اطلاقه وقد ورد عن السلف اطلاق ذلك ونقلت فيه آثار واخبار

ولو لم يرد فيه اطلاق الكناية ولم يجوز اطلاق كل لفظة فى حق الله تعالى صادقة لا منع منه ولا تحريم اذا كان لا يوهم الخطأ عند المستمع وهذا لا يوهم رؤية الذات عند الاكثرين لكثرة تداول الالسنة له فان فرض شخص توهم عنده خلاف الحق فلا ينبغى أن يطلق معه القول بل يظهر له معناه كما يجوز أن تقول انا نحب الله تعالى أو نشتاق اليه ونريد لقاءه وقد سبق الى فهم قوم من هذه الاطلاقات خيالات فاسدة والاكثرون يفهمون معناه على وجهه من غير خيال فاسد ويراعى فى هذه الاطلاقات حال خيال المخاطب فيجوز الاطلاق من غير كشف ولا تفسير حيث لا ايهام ويجب الكشف عند الايهام وعلى الجملة هذا يرد الخلاف الى اطلاق اللفظ وجوازه بعد حصول الاتفاق على لفظ المعنى من ان ذات الله تعالى مرئية وان المرئى مثال وظن من ظن استحالة المثال فى حق الله تعالى خطأ بل نضرب لله تعالى ولصفاته الامثال وننزهه عن المثل ولا ننزهه عن المثال وله المثل الاعلى

(فصل قوله تعالى قل هو الله أحد) فرق بين الواحد والاحد قال الله تعالى والهكم اله واحد فيقال الانسان شخص واحد وصنف واحد والمراد به أنه جملة هى جملة واحدة ويقال ألف واحد فالواحد المشار اليه من طريق العقل والحس هو الذى يمتنع مفهومه عن وقوع الشركة فيه والأحد هو الذى لا تركيب فيه ولا جزء له بوجه من الوجوه فالواحد نفى الشريك والمثل والاحد نفى الكثرة فى ذاته وقوله تعالى الله الصمد الصمد الغنى المحتاج اليه غيره وهذا دليل على ان الله تعالى احدى الذات وواحد لانه لو كان له شريك فى ملكه لما كان صمدا غنيا يحتاج اليه غيره بل كان هو أيضا يحتاج الى شريكه فى المشاركة أو التثنية ولو كان له أجزاء تركيب واحد لما كان صمدا يحتاج اليه غيره بل هو محتاج فى قوامه ووجوده الى أجزاء تركيبه وحده فالصمدية دليل على الواحدية والاحدية ولم يلد دليل على أن وجوده المستمر ليس مثل وجود الانسان الذى يبقى نوعه بالتوالد والتناسل بل هو وجود مستمر أزلى وأبدى ولم يولد دليل على أن وجوده ليس مثل وجود الانسان الذى يحصل بعد العدم ويبقى دائما فى جنة عالية لا تفنى واما فى هاوية لا تنقطع ولم يكن له كفوا أحد دليل على ان الوجود الحقيقى الذى له تبارك وتعالى وهو الوجود الذى يطرد وجود غيره

the ultimate reality

ولا يستفيد الوجود من غيره ليس الا الاله تبارك وتعالى فقوله قل هو الله أحد دليل على اثبات ذاته المنزه المقدس والصمدية نفي واضافة نفي الحاجة عنه واحتياج غيره اليه والاحدية ولم يلد الى آخر السورة سلب ما يوصف به غيره تعالى عنه فلا طريق في معرفة ذات الله تعالى أبين وأوضح من سلب صفات المخلوقات عنه

(فصل) يتخيل بعض الناس كثرة في ذات الله تعالى من طريق تعدد الصفات وقد صح قول من قال في الصفات لا هو ولا غيره وهذا التخيل يقع من توهم التغاير ولا تغاير في الصفات مثال ذلك ان انسانا يعلم صورة الكتابة وله علم بصورة بسم الله التي تظهر تلك الصورة على القرطاس وهذه صفة واحدة وكمالها أن يكون المعلوم تبعا لها فانه اذا حصل العلم بتلك الكتابة ظهرت الصورة على القرطاس بلا حركة يد وواسطة قلم ومداد فهذه الصفة من حيث ان المعلوم انكشف بها يقال انها علم ومن حيث ان الالفاظ تدل عليها يقال انها كلام فان الكلام عبارة عن مدلول العبارات ومن حيث ان وجود المعلوم تبع لها يقال لها القدرة ولا تغاير ههنا بين العلم والقدرة والكلام فان هذه صفة واحدة في نفسها ولا تكون هذه الاعتبارات الثلاث واحدة وكل من كان أعور ينظر بالعين العوراء فلا يرى الا مطلق الصفة فيقول هو هو واذا التفت الى الاعتبارات الثلاث فقال هي غيره ومن اعتبر مطلق الصفة مع الاعتبارات فقد نظر بعينين صحيحتين اعتقد أنها لا هو ولا غيره والكلام في صفات الله تعالى وان كان مناسبا لهذا المثال فهو مباين له بوجه آخر وتفهيم هذه المعاني بالكتابة عسير غير يسير وأما الوهم الذي وقع لبعض الناس ان المثال في حق أوصاف الله تعالى لا يجوز فيه دفعه ان ذلك المتوهم لم يميز بين المثل والمثال فان المثال يحتاج اليه كما ذكرناه في أن يسترق للمعنى المعقول من الصور المحسوسة صورة توضحه وتوصل ذلك المعنى المعقول الى فهم المستفيد وأما المحسوس فلا يحتاج الى مثال لان المحسوس بعينه مندرج في الخيال ألا ترى ان من رأى القدحة والزند والنار تحصل بينهم الا يحتاج الى مثال لهذه الاشياء ولكن المعقول المحض الذي لا يندرج في الخيال ولا يضبطه الخيال فانه يحتاج الى الاستعانة بالخيال حتى يصل الى فهم الضعفاء وليس لله تعالى مثل كما قال ليس كمثله شيء ولكن له مثال وقول النبي عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى خلق آدم على صورته اشارة

الى هذا المثال فانه لما كان تعالى وتقدس موجودا قائما بنفسه حيا سميعا بصيرا عالما قادرا متكلما فالانسان كذلك ولولم يكن الانسان بهذه الاوصاف موصوفا لم يعرف الله تعالى ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام من عرف نفسه فقد عرف ربه فان كل مالم يجد الانسان له من نفسه مثالا يعسر عليه التصديق به والاقرار وقد أوحى الله تعالى الى بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام أيها الانسان اعرف نفسك تعرف ربك ولذلك لايحيط علم الانسان بأخص وصف الله تعالى لانه ليس فى المبدعات والمخلوقات مثال وأنموذج من ذلك الوصف الخاص وكذلك الاسم للوصف الخاص الذى له تعالى لان الانسان انما يسمى الشئ بعد معرفته اياه واذا لم يكن للانسان اليه طريق وأنموذج فلا علم له به ولا اسم له عنده ولا علامة فكيف يعرفه فلذلك لا يعرف الله الا الله أعنى أخص وصفه وكنه معرفته فمن قال ان الانسان حى عالم قادر سميع بصير متكلم والله تعالى كذلك لايكون هذا القائل مشبها فان التشبيه اثبات المشاركة فى الوصف الاخص ومن قال ان السواد عرض موجود وهو لون والبياض عرض موجود وهو لون لايكون مشبها السواد بالبياض فان الاشتراك فى اللونية والعرضية والوجودية لايكون تشبيها بينهما فان هذه أوصاف تعمها والموجودات كلها مشتركة فى الوجود العام ولا تماثل بينها وكذلك لا تماثل بين السواد والبياض مع اشتراكهما فى اللونية والعرضية والوجودية فالمثال فى حق الله سائغ جائز والمثل مستحيل فانا نقول الله تعالى مدبر متصرف فى العالم وليس فى العالم مثال ذلك ان أصبع الانسان يتحرك ويحركه علمه وارادته وليس فيها العلم والارادة فيقع التفهيم بسبب ذلك وتصور الضعيف انه كيف يكون مدبر فاعل فى شئ غير مجاور له ولا حال فيه

(فصل) تكليف الله تعالى عباده لا يضاهى تكليف الانسان عبده الاعمال التى يرتبط بها غرضه وماله حظ فيه ومالا يحتاج اليه فلا يكلفه به وتكليف الله تعالى عباده يجرى مجرى تكليف الطبيب المريض فاذا غلبت عليه الحرارة أمره بشرب المبردات والطبيب غنى عن شربه لا يضره مخالفته ولا ينفعه موافقته ولكن الضر والنفع يرجعان الى المريض وانما الطبيب هاد ومرشد فقط فان وفق المريض

حتى وافق الطبيب شفى وتخلص وان لم يوفق مخالفه تمادى به المرض وهلك وبقاؤه وهلاكه عند الطبيب سيان فانه مستغن عن بقائه وفنائه فكذلك الله تعالى خلق للشفاء سببا مفضيا اليه كذلك خلق للسعادة سببا وهو الطاعات ونهى النفس عن الهوى بالمجاهدة المزكية لها عن رذائل الاخلاق منجيات و رذائل الاخلاق فى الآخرة مهلكات كما ان رذائل الاخلاط ممرضات فى الدنيا ومهلكات والمعاصى بالاضافة الى حياة الآخرة كالسموم بالاضافة الى حياة الدنيا وللنفوس طب كما ان للاجساد طبا والانبياء عليهم الصلاة والسلام أطباء النفوس يرشدون الخلق الى طريق الفلاح بتمهيد الطريق المزكية للقلوب كما قال الله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ثم يقال ان الطبيب أمره بكذا ونهاه عن كذا وانه زاد مرضه لانه خالف الطبيب وانه صح لانه راعى قانون الطبيب ولم يقصر فى الاحتماء و بالحقيقة لم يتماد مرض المريض بمخالفة الطبيب لعين المخالفة بل لانه سلك غير طريق الصحة التى أمره الطبيب بها فكذلك التقوى هى الاحتماء الذى ينفى عن القلوب أمراضها وأمراض القلوب تفوت حياة الآخرة كما تفوت أمراض الاجساد حياة الدنيا والمثال الآخر أن ملكا من ملوك الناس عهد بعض عبيده الغائب عن مجلسه بمال ومركوب ليتوجه تلقاءه لينال رتبة القرب منه ويسعد بسببه مع استغناء الملك عن الاستعانة به وتصميم العزم على أن لا يستخدمه أصلا ثم ان العبد ان ضيع المركوب وأهلكه وأنفق المال لا فى زاد الطريق كان كافر النعمة وان ركب المركوب وأنفق المال فى الطريق متزودا به كان شاكر النعمة لا يعنى أنه أنال الملك حظا فانه لم يرد فى الانعام عليه وفى تكليفه الحضور حظا لنفسه ولكن أراد سعادة العبد فاذا وافق مراد السيد فيه كان شاكرا وان خالف عدت مخالفته كفرانا والله تعالى يستوى عنده كفر الكافرين وايمانهم بالاضافة الى جلاله واستغنائه ولكنه لا يرضى لعباده الكفر فانه لا يصلح لعباده فانه يشقيهم كما لا يرضى الطبيب هلاك المرضى و يعالجهم ولا يرضى الملك المستغنى عن عبده لعبده الشقاوة بالبعد عنه و يريد له السعادة بالقرب منه وهو غنى عنه قرب أو بعد فهكذا ينبغى أن يفهم أمر التكليف فان الطاعات أدوية والمعاصى سموم وتأثيرها فى القلوب ولا ينجو

الامن أتى الله بقلب سليم كما لاتسعد الصحة الامن أتى بمزاج معتدل وكما يصح قول الطبيب للمريض قد عرفتك ما يضرك وما ينفعك فان وافقتني فلنفسك وان خالفت فعليها كذلك قال الله تعالى من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وأما العقاب على ترك الامر وارتكاب النهي فليس العقاب من الله تعالى غضبا وانتقاما ومثال ذلك أن من غادر الوقاع عاقبه الله تعالى بعدم الولد ومن ترك ارضاع الطفل عاقبه بهلاك الولد ومن ترك الاكل والشرب عاقبه بالجوع والعطش ومن ترك تناول الادوية عاقبه بألم المرض وغضب الله تعالى على عباده عبر ارادته الايلام كما أن الاسباب والمسببات يتأدى بعضها الى بعض فى الدنيا بترتيب مسبب الاسباب فبعضها يفضى الى الآلام وبعضها الى اللذات ولا يعرف عواقبها الا الانبياء فكذلك نسبة الطاعات والمعاصى الى آلام الآخرة ولذاتها من غير فرق فالسؤال عن أنه لم تفضى المعصية الى العقاب كالسؤال فى أنه لم يهلك الحيوان عن السم ولم يؤدى السم الى الهلاك ولم خلق جسد الانسان على وجه يفعل فيه السم أثرا وينفعل البدن عنه وهو لا ينفعل عن البدن فكذلك الكلام فى أنه لم خلق الله تعالى نفس الانسان على وجه تكملها وتنجيها الفضائل وتهلكها الرذائل هذا والله تعالى غير عاجز عن الاشباع من غير أكل والادواء من غير شرب والانشاء من غير مصاحبة وقاع والانماء من غير رضاع ولكنه قد رتب الاسباب والمسببات ولذلك سر وحكمة لا يعلمها الا الله تعالى والراسخون فى العلم وليس هذا بعجب وانما العجب من هذا التدبير المحكم والنظام المتقن ولعمرى ان من لا يهتدى الى سر الحكمة فيه يتعجب منه لقصور هدايته ولو كان كذلك لضاع حظ النبات والحيوانات التى هى ألطف الحيوانات وأقربها الى الاعتدال مثل الغنم والنعاج والقباج والدجاج وغيرها وكمال النبات أن يصير غذاء لما هو أعلى منه بالرتبة وهو الحيوان ولذلك يقوم بدل ما يتحلل منه فيصير جزءه متشابها به وهذا كماله وكذلك نسبة الحيوانات المذبوحة الى الانسان ونسبة الانسان الى الملائكة فى جنات عدن كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب وأما كون بعض الحيوانات العجم غذاء لبعض السباع الضارية فى السباع الضوارى فوائد ومنافع مناسبة

وطبية يعرفها أرباب السياسة والأطباء ومثال من يتعجب من وضع هذه الاشياء على ترتيب النظام الكلى على موجب تقدير العزيز الحكيم كمثل الاعمى الذى دخل دارا فتعثر بالاوانى الموضوعة فى صحن الدار فقال لاهل الدار ما الذى أزال عقولكم لماذا لا تردون هذه الاوانى الى مواضعها ولم تركتموها على الطريق فقيل له انها موضوعة فى مواضعها وانما الخلل من فقد البصر وكمثل الاخشم الذى لا يدرك الروائح فيلوم واضع اللخالخ والمثلثات والفواكه العطرة الطيبة بين يديه فقال هذا قد شغل المكان فقط فقيل له فى العود فائدة سوى اتخاذه على جهة الحطب وانما المانع من ادراكه هو الخشم وههنا مباحثة أخرى منها ان الله تعالى كيف يأمر بالشئ ويمنع من البحث عنه والبصيرة لا تحصل الا بالبحث عنه وهذا تعجب فاسد فان العمل يستدعى اعتقادا جازما أو معرفة حقيقية والاعتقاد الجازم يعرف بالتقليد المجرد على سبيل التصديق والايمان والمعرفة تحصل بالبرهان والوصول اليها بالبحث ولم يمنع عن البحث الخلائق كلهم بل الضعفاء العاجزون عن الاطلاع على حقائق البرهان ومعضلات البحث ومثال ذلك الطبيب الذى يأمر العليل بشرب الدواء ويمنعه عن البحث عن سبب كون هذا الدواء شافيا فانه يقصر عنه فهمه ويشق عليه ويعجز عنه ويزداد المرض ويستضر به فان وجد على سبيل الندور مريضا ذكيا سالكا منهاج الطب وعلل الامراض لم يمنعه من البحث ولم يمنعه عن ذكر المناسبة بين دوائه وبين مرضه بل اذا علم أنه ليس يؤمن بمجرد قوله وليس يقلد محض التقليد لما خص به من الذكاء وما يفهم من أسباب العلة وعلم أنه اذا فهم العلة والمناسبة اشتغل بالعلاج وان لم يكن يفهم أعرض عن التقليد وجب عليه ذكر المناسبة والعلة ولم يمنع من البحث اذا علم استقلاله به الا أن ذلك نادر فى المرضى جدا والاكثرون يضعفون عن ذلك وكذلك معرفة العلل والاسرار والبحث عنها فى الشرعيات من هذا القبيل وأما تسخير البهائم للانسان مثل من يمشى خطوات مثلا لينظر الى منتزهات ووجوه حسان فيقال له كيف أتعب رجله وسخرها لاجل عينيه والعين آلته كما أن الرجل آلته فما باله جعل احداهما خادمة وأتعبها وجعل الاخرى مخدومة وطلب راحتها وهذا جهل بالاقدار والمراتب بل العاقل يعلم أن الكامل أبدا يفدى بالناقص وأن الناقص يستسخر لاجل الكامل

وهو عين الحكمة وليس ذلك بظلم فان الظلم هو التصرف فى ملك الغير والله تعالى لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فلا يتصور منه ظلم بل له أن يفعل ما يشاء فى ملكه ويكون عادلا والوحى الالهى والشرع الحق لا يرد بما ينبو عنه العقل فان أراد بنبو العقل أن برهان العقل يدل على استحالته كخلق الله تعالى مثل نفسه أو الجمع بين المتضادين فهذا مالا يرد الشرع به وان أراد به ما يقصر العقل عن ادراكه ولا يستقل بالاحاطة بكنهه فهذا ليس بمحال أن يكون فى علم الاطباء مثل اجتذاب المغناطيس للحديد وان المرأة لومشت فوق حية مخصوصة ألقت الجنين وغير ذلك من الخواص وهذا مما ينبو عنه العقل بمعنى أنه لا يقف على حقيقته ولا يستقل بالاطلاع عليه فلا ينبو عنه الحكم باستحالته وليس كل مالا يدركه العقل محالا فى نفسه بل لو لم نشاهد قط النار واخراجها فاخبرنا مخبر وقال انى أصك خشبة بخشبة وأستخرج من بينهما شيأ أحمر بمقدار عدسة فتأكل هذه البلدة وأهلها حتى لا يبقى منهم شئ من غير أن ينتقل ذلك الى جوفها ومن غير أن يزيد فى حجمها بل تأكل نفسها فلا تبقى هى ولا البلد لكنا نقول هذا الشئ ينبو عنه العقل ولا يقبله وهذه صورة النار والحس قد صدق ذلك وكذلك قد يشتمل الشرع على مثل هذه العجائب التى ليست مستحيلة وانما هى مستبعدة وفرق بين البعيد والمحال فان البعيد هو ما ليس بمألوف والمحال مالا يتصور كونه وأما معنى قول الله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقوله تعالى لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا فالسؤال قد يطلق ويراد به الالزام يقال ناظر فلان فلانا وتوجه عليه سؤاله وقد يطلق ويراد به الاستخبار كما يسأل التلميذ أستاذه والله تعالى لا يتوجه عليه السؤال بمعنى الالزام وهو المعنى بقوله لا يسئل عما يفعل اذ لا يقال له لم قول الزام فاما أن لا يستخبر ولا يستفهم فليس كذلك وهو المراد بقوله لم حشرتنى أعمى وهذا القدر كاف فى جواب هذه الاسئلة ومن ترقى عن محل التقليد بادنى كياسة ولم ينته الى رتبة الاستقلال كان من الهالكين فنعوذ بالله من كياسة لا تنفع فان الجهالة أدنى الى الخلاص والنجاة منها شعر

ولم أر فى عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام

(فصل) اذا عرفت انك حادث وان الحادث لا يستغنى عن محدث فقد حصل لك

البرهان على الايمان بالله وما أقرب الى العقل هاتين المعرفتين أعنى أنك حادث وأن الحادث لا يحدث بنفسه واذا عرفت نفسك وأنك جوهر خاصيتك معرفة الله ومعرفة ماليس بمحسوس وليس البدن من قوام ذاتك فانهدام البدن لا يعدمك فقد عرفت اليوم الآخر بالبرهان فانه لا معنى له الا أن لك يومين يوم حاضر أنت فيه مشغول بهذا البدن ويوم آخر أنت فيه مفارق لهذا الجسد واذا لم يكن قوامك بالجسد وقد فارقته بالموت فقد حصل اليوم الآخر واذا عرفت أنك اذا فارقت المحسوسات بمفارقة الجسد تلقيت اما نعمة هى معرفة الله تعالى التى هى خاصية ذاتك ومشتهى لذاتك بمقتضى طبعك الاصلى لولم تعرض بالميل الى الشهوات واما عذابا بالحجاب عن الله تعالى الذى هو منتهى شهوتك من حيث الطبع الاصلى كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعرفت أن سبب المعرفة الذكر والفكر والاعراض عن غير الله تعالى وسبب المرض المانع عن ذكر الله ومعرفته الاقبال على الشهوات والحرص على الدنيا وعرفت أن الله تعالى قادر على أن يعرف عموم عباده ذلك بواسطة الكشف لبعض خواص عباده وعرفت أنه قد فعل ذلك فقد عرفت رسله بالبرهان وآمنت واذا عرفت أن هذه التعريفات للانبياء انما تكون فى كسوة ألفاظ وعبارات توحى اليهم وتلقى فى سمعهم امافى يقظة أوفى منام فقد آمنت بالكتب واذا عرفت أن أفعال الله تعالى منقسمة الى ما فعله بواسطة والى ما فعله بغير واسطة وأن وسائطه مختلفة المراتب فالوسائط القريبة هم المقربون وعنهم يعبر بالملائكة لكن معرفة هذا بطريق البرهان عسير والقول فيه طويل فصدق الرسل فى أخبارهم عنهم بعد أن عرفت صدق الرسل بالبرهان واكتف بذلك فانه درجة من درجات الايمان يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات

(فصل) كل ما يتوالد فلا يستحيل أن يتولد أصلا وما يتولد لا يستحيل أن يتوالد فقوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة انما عنى به الانسان التوالدى (وقوله) خلقنا كم من تراب عنى به الانسان التولدى وقد تتولد العقارب من الباذروج ولباب الخبز والحيات من العسل والنحل من العجل المتخنق المنكسرة عظامه والبق من الخل وسام أبرص من القرنبيط والخنافس من البعرة ومن نوى النبق العقرب الجرارة

ومن الشعر الحيات ومن الطين والمدر الفار ومن طين أصول القصب الدائم الرطوبة الطير ولاسيما طير الماء وأمثال ذلك كما ذكر في كتب الطلسمات وغيرها ثم يتوالد هذا المتولد ويبقى نوعه بالتوالد وانطباق دائرة معدل النهار على فلك البروج مما يدل على خراب العالم السفلي وتغييره للفصول أعني الربيع والصيف والخريف والشتاء فلا يبقى الحرث والنسل كما قال تعالى كل من عليها فان يعني على الارض فخلق الله تعالى آدم من تراب ثم حصل منه التوالد ونظير ذلك مشاهد وكذا الصنائع والحرف تحصل من طريق الالهام ثم تستفاد وتتعلم وتحصل النار من المقدحة والزند ثم تقتبس بعد حصولها ذلك تقدير العزيز العليم الذي خلق عند انفراج الدائرتين معدل النهار وفلك البروج الذي يتزايد الميل الذي خلق بينهما آدم من تراب ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه فمن شك في كيفية بدء الخلق ووضع الصانع الحكيم في التوالد والتولد فلينظر الى المحسوسات التي ذكرناها وأما النشأة الاخرى وكيفية عود النفوس والارواح الى أشباحها فمذكورة في بابها

(فصل) المبدعات والمخلوقات أحدثها الله تعالى نازلة بالترتيب فهو الاول الذي لا أول قبله ومنه تحصل المبدعات بل الممكنات بأسرها ثم ينزل الترتيب من الاشرف فالاشرف حتى ينتهي الى المادة التي هي أخس الاشياء ثم ابتدأ تعالى من الاخس عائدا الى الاشرف حتى انتهى الى الانسان ويعود الانسان عند زكاء نفسه الى حيث قال ارجعي الى ربك راضية مرضية ولذلك قال هو الاول والآخر والظاهر والباطن أما الظاهر فمركوز في غرائز العقول أن للكل مبدأ وأن للحادث محدثا وللممكن موجدا واجبا وأما الباطن فلان وصفه الخاص لا يعرفه الا هو وربما كان باطنا لغاية ظهوره كما أن الشمس التي هي في غاية البعد عن هذا المثال ظاهر باهر وبسبب غاية ظهورها لا تدركها الحاسة المبصرة محاذاة ومقابلة (والميزان) ما تعرف به حقائق الاشياء ويميز به صحيح العقيدة من الفاسد وهو الواسطة بين السماء والارض حيث قال والسماء رفعها ووضع الميزان أن لا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام وذلك الميزان سر من أسرار الربوبية لا يعرفه الا الراسخون في العلم والله أعلم

(الركن الثاني في معرفة الملائكة)

الملائكة والجن والشياطين جواهر قائمة بأنفسها مختلفة بالحقائق اختلافا يكون بين الانواع (مثال ذلك) القدرة فانها مخالفة للعلم والعلم مخالف للقدرة وهما مخالفا اللون واللون والقدرة والعلم اعراض قائمة بغيرها فكذلك بين الملك والشيطان والجن اختلاف ومع ذلك فكل واحد جوهر قائم بنفسه وقد وقع الاختلاف بين الجن والملك فلا يدرى أهو اختلاف بين النوعين كالاختلاف بين الفرس والانسان أو الاختلاف في الاعراض كالاختلاف بين الانسان الناقص والكامل وكذا الاختلاف بين الملك والشيطان وهو أن يكون النوع واحدا والاختلاف واقعا في العوارض كالاختلاف بين الخير والشرير والاختلاف بين النبي والولي والظاهر أن اختلافهم بالنوع والعلم عند الله تعالى وهذه الجواهر المذكورة لاتنقسم أعني أن محل العلم بالله تعالى واحد لا ينقسم فان العلم الواحد لا يحل الا في محل واحد وحقيقة الانسان كذلك فالعلم والجهل بشيء واحد في محل واحد متضادات وفي المحلين غير متضادين واما ان هذا الجوهر غير منقسم وهل هو متحيز أم لا فهذا الكلام عائد الى معرفة الجزء الذي لا يتجزأ فان استحال الجزء الذي لا يتجزأ فهذا الجوهر غير منقسم ولا متحيز وان لم يستحل الجزء الذي لا يتجزأ فيمكن أن يكون هذا الجوهر متحيزا وقد قال قوم لا يجوز أن يكون غير منقسم ولا متحيز فان الله تعالى غير منقسم ولا متحيز فما الذي يفصل هذا من ذلك وهذا غير مبرهن عليه لانه ربما تباينا في حقيقة الذات وان سلب عنهما الانقسام والتحيز والامور المكانية وتلك سلوب والاعتبار بالحقائق لان ما سلب عن الحقائق كالعرضين المختلفين بالحد والحقيقة الحالين في محل واحد فان ايجاب احتياجهما الى المحل وكونهما في المحل لا يفيد تماثلهما فكذلك سلب الاحتياج الى المحل والمكان لا يفيد اشتراك الشيئين ويمكن أن تشاهد هذه الجواهر أعني جواهر الملائكة وان كانت غير محسوسة وهذه المشاهدة على ضربين اما على سبيل التمثيل كقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا وكما كان النبي عليه الصلاة والسلام يرى جبريل في صورة دحية الكلبي والقسم الثاني أن يكون لبعض الملائكة بدن محسوس كما أن نفوسنا غير محسوسة ولها بدن محسوس هو محل تصرفها وعالمها

الخاص

الخاص بها فكذلك بعض الملائكة ربما كان هذا البدن المحسوس موقوفا على اشراق نور النبوة كما أن محسوسات عالمنا هذا موقوف عند الادراك على اشراق نور الشمس وكذا فى الجن والشياطين

(فصل) وقوع مزاج قريب من مزاج آخر غير مستحيل فنسبة نفس مزاج واحد هو قريب الى مزاج آخر الى نفس ذلك المزاج نسبة مقارنة فان كان لانسان مزاج خاص وله نفس خاصة ثم مات صاحب ذلك المزاج وحدث بعده مزاج آخر قريب منه وذلك عند الادوار والتشكلات الفلكية مثال ذلك حدث مزاج وتشكل الفلك على هيئة مخصوصة ثم عادت تلك التشكلات باسرها عودا يمكن لها وان لم يكن بالنسبة المخصوصة الى مبدء واحد فحدث مزاج آخر استحق المزاج الحادث نفسا أخرى لتلك النفس مع النفس المفارقة التى كانت للمزاج المناسب له مناسبة ما فلا تتعلق النفس المفارقة بهذا المزاج تعلقا كليا لاستحالة تصرف النفسين فى بدن واحد فتتعلق بذلك المزاج تعلقا دون تعلق تلك النفس الحادثة معه فتزداد خيرا ان كانت خيرة وشرا ان كانت شريرة ولذلك يقال لكل انسان جنى يشا كله ويعاونه أو شيطان يغويه ويضله وان حدث مزاجان فى زمان واحد فى بدنين أو فى مكانين وحدثت لهما نفسان كانتا قرينين فى الابدان قربان وفى النفوس قربان وكل من تكون مناسبة الارواح المفارقة الى روحه أكثر حدث به من تلك الاتصالات أنواع من الاخلاق فيكون عرافا كاهنا أوصاحب تنجيم أو غير ذلك وربما كانت القوة الوهمية بعد المفارقة بحيث يدبر لها العالم المحسوس بدنا ولا تتعداه الى العالم لا على فتطالع الاسباب الجزئية فى هذا العالم وتستفيد النفس البدنية المتصلة بها معرفة ما والشرير منها فى غاية الشر لانها خرجت عن المادة فالشرير شيطان والخير من الطبقة الناقصة جن وللجن والشياطين علائق يتمسك بها البشر وأفعال روحانية هى مولدات لافعال طبيعية والخلاص عن المادة دليل كمال القوة سواء كانت تلك القوة قوة رداءة أو قوة خير وأما القاعد عن اليمين والشمال فقالوا فيهما ما قالوا والحق ان هذا امر انما يعرفه الانبياء المرسلون عليهم السلام وملائكة السموات المدبرون المتصرفون فى اجرام السموات لا يعلم أعداد تلك الاجرام الا الله تعالى كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وملك الموت هو الملك

الذي يأمره الله تعالى بقبض الارواح متضمنا تفريق المزاج الذي استحق قبول تلك النفس مثاله مثال مطفئ السراج بالنفخ والنفخ نفخان نفخ يوقد كما قال تعالى فنفخنا فيه من روحنا ونفخ يطفئ كما قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض وقال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون

(الركن الثالث في المعجزات وأحوال الانبياء عليهم السلام)

تسبيح الحصا وقلب العصا حية تسعى وكلام البهائم وكلام الشاة التي قالت للنبي عليه الصلاة والسلام حين سمتها اليهودية لا تأكل مني فاني مسمومة وأمثال ذلك على ثلاثة أقسام القسم الاول الحسي والثاني الخيالي والثالث العقلي (القسم الاول) الحسي وهو أن يخلق الله العلم والحياة والقدرة في الحصى حتى يتكلم وفي البهيمة العقل والقدرة والنطق وذلك ليس بمحال فان الله تعالى قادر على أن يخلق في الباذروج حياة وقدرة وسمعا ويخلق منه عقربا ويخلق من نوع النبق كذلك ويخلق من لحوم البقر النحل ومن النطفة الانسان وسائر الحيوانات من موادها فهو قادر على أن يخلق باعجاز نفس مقدسة نبوية في الحصاة حياة وقدرة ومن شاهد خلق الحية النضناضة من شعر امرأة وعجن ذلك ولا يتعجب من قلب الشعر حية فكيف يتعجب من قلب العصا حية والخشب كان ذا نفس نامية نباتية والشعر لم يكن قط ذا نفس والاجسام متماثلة فكما جاز ذلك في أجسام الناس جاز ذلك في سائر الاجسام وان كان الجسم الانساني بسبب اعتدال المزاج قابلا لهذه الاشياء فكل جسم مستعد لقبول المزاج المعتدل وان كان الاعتدال موقوفا على الحرارة والرطوبة فليس يمتنع أن يكون كل جسم قابلا للحرارة والرطوبة ويكون دعاء النبي وهمته يؤثران في كينونة هذه الاشياء من غير مهلة ومدة وان جرت العادة أن يخلق الله تعالى مثل هذه الاشياء في مدة وبذلك يظهر شرف الانبياء وخرق العادة ليس بمحال مثال ذلك الشمس والنار فان ما يحصل من تأثير الشمس في المائعات وغيرها انما يحصل بمدة على سبيل التدريج وما يحصل من اسخان النار يكون دفعة فلم استحال أن يكون تأثير مراد الانبياء على وجه تكون نسبته نسبة اسخان النار الى اسخان الشمس (القسم الثاني) العقلي وهو قول الله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده وهو شهادة كل مخلوق ومحدث على

خالقه

خالقه ووجده كشهادة البناء على البانى والكتابة على الكاتب ويقال لذلك لسان الحال والمتكلمون يقولون هذه دلالة الدليل على المدلول والحق من الناس لا يعرفون هذه الرتبة ولا يقرون بها (القسم الثالث) الخيالى ان لسان الحال يصير مشاهدا محسوسا على سبيل التمثيل وهذه خاصية الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كما ان لسان الحال يتمثل فى المنام لغير الانبياء ويسمعون صوتا وكلاما كمن يرى فى منامه ان جملا يكلمه أو فرسا يخاطبه أو ميتا يعطيه شيأ أو يأخذ منه أو يسلب منه شيأ أو تصير أصبعه شمعا أو قمرا أو يصير ظفره أسدا أو غير ذلك مما يراه النائم فى منامه فالانبياء عليهم الصلاة والسلام يرون ذلك فى اليقظة وتخاطبهم هذه الاشياء فى اليقظة فان المتيقظ لا يميز بين أن يكون ذلك نطقا خياليا أو نطقا حسيا من خارج والنائم انما يعرف ذلك بسبب انتباهه والتفرقة بين النوم واليقظة ومن كانت له ولاية تامة تفيض تلك الولاية أشعتها على خيالات الحاضرين حتى انهم يرون ما يراه ويسمعون ما يسمعه والتمثل الخيالى أشهر هذه الاقسام والايمان بهذه الاقسام كلها واجب واجب

(فصل) وأما شفاعة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء فالشفاعة عبارة عن نور يشرق من الحضرة الالهية على جوهر النبوة وينتشر منها الى كل جوهر استحكمت مناسبته مع جوهر النبوة لشدة المحبة وكثرة المواظبة على السنن وكثرة الذكر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ومثاله نور الشمس اذا وقع على الماء فانه ينعكس منه الى موضع مخصوص من الحائط لا الى جميع المواضع وانما اختص ذلك الوضع لمناسبة بينه وبين الماء فى الوضع وتلك المناسبة مسلوبة عن سائر أجزاء الحائط وذلك الموضع هو الذى اذا خرج منه خط الى موضع النور من الماء حصلت منه زاوية الى الارض مساوية للزاوية الحاصلة من الخط الخارج من الماء الى قرص الشمس بحيث لا يكون أوسع منه ولا أضيق مثال ذلك لا ثم وهذا لا يمكن الا فى موضع مخصوص من الجدار فكما أن المناسبات الوضعية تقتضى الاختصاص بانعكاس النور فالمناسبات المعنوية العقلية أيضا تقتضى ذلك فى الجواهر المعنوية ومن استولى عليه التوحيد فقد تأكدت مناسبته مع الحضرة الالهية فاشرق عليه النور من غير واسطة ومن استولت عليه السنن والاقتداء بالرسول ومحبة اتباعه ولم ترسخ قدمه فى ملاحظة الوحدانية لم تستحكم مناسبته

لامع الواسطة فافتقر الى واسطة فى اقتباس النور كما يفتقر الحائط الذى ليس مكشوفا للشمس الى واسطة الماء المكشوف للشمس والى مثل هذا ترجع حقيقة الشفاعة فى الدنيا فالوزير الممكن فى قلب الملك المخصوص بالعناية قد يغضى الملك عن هفوات أصحاب الوزير ويعفو عنهم لا للمناسبة بين الملك وأصحاب الوزير لكن لانهم يناسبون الوزير المناسب للملك ففاضت العناية عليهم بواسطة الوزير لا بأنفسهم ولو ارتفعت الواسطة لم تشملهم العناية أصلا لان الملك لا يعرف أصحاب الوزير واختصاصهم به الا بتعريف الوزير واظهاره الرغبة فى العفو عنهم فيسمى لفظه فى التعريف واظهار الرغبة شفاعة على سبيل المجاز وانما الشفيع مكانته عند الملك وانما اللفظ لاظهار الغرض والله مستغن عن التعريف ولو عرف الملك حقيقة اختصاصه بالوزير لاستغنى عن اللفظ وحصل العفو بشفاعة لا نطق فيها ولا كلام والله تعالى عالم به فلو أذن للانبياء عليهم الصلاة والسلام فى التلفظ بما هو معلوم عند الله تعالى لكانت ألفاظهم ألفاظ الشفعاء واذا أراد الله تعالى ان يمثل حقيقة الشفاعة بمثال يدخل فى الحس والخيال لم يكن ذلك التمثيل الا بالفاظ مألوفة بالشفاعة ويدل على ذلك انعكاس النور بطريق المناسبة وان جميع ما ورد فى الاخبار عن استحقاق الشفاعة متعلق بما يتعلق بالرسول عليه الصلاة والسلام من صلاة عليه أو زيارة لقبره أو جواب المؤذن والدعاء له عقيبه وغير ذلك مما يحكم علاقة المودة والمحبة والمناسبة معه

(الركن الرابع فى أحوال ما بعد الموت)

(فصل) فى عذاب القبر النفس اذا فارقت البدن حملت القوة الوهمية معها كما ذكرناها وتجرد عن البدن منزهة ليس يصحبها شئ من الهيآت البدنية وهى عند الموت عالمة بمفارقتها عن البدن وعن دار الدنيا متوهمة نفسها الانسان المقبور الذى مات وعلى صورته كما كان فى الدنيا يتخيل ويتوهم ويتخيل بدنها مقبورا ويتخيل الآلام الواصلة اليها على سبيل العقوبات الحسية على ما وردت به الشرائع الصادقة فهذا عذاب القبر وان كانت سعيدة تتخيله على صورة ملائمة على وفق كانت تعتقده من الجنات والانهار والحدائق والغلمان والولدان والحور العين والكاس من المعين فهذا ثواب القبر فلذلك قال النبى عليه الصلاة والسلام القبر اما روضة من رياض الجنة أو حفرة

من حفر النيران فالقبر الحقيقي هذه الهيآت وعذاب القبر وثوابه ماذكرناهما والنشأة الاخرى خروج النفس عن غبار هذه الهيآت كما يخرج الجنين من القرار المكين كما قال تعالى قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم وقوله تعالى الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون دليل ظاهر ومثال بين لهذه النشأة

(فصل) قول النبي صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته الفاء ههنا للتعقيب يعنى قامت قيامة الميت عند موته مثال ذلك من سرق نصابا كاملا من حرز فقد استحق قطع يده وهذا عقاب لا يتأخر عن هذا الفعل وقال تعالى أيضا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله والقيامة الكبرى ميعاد عند الله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو وعلمها عند الله والاوقات والازمنة وان كان فيها تشابه فلكل واحد منها خواص ببعض أنواع الوجود يعتبر ذلك فى أوقات الحرث والفسل وغيرهما وعند المتكلمين يرجع ذلك الى مشيئة الله تعالى فانه تعالى يخصص وقتا لوجود فيه موجودا بارادته ومشيئته مع ان الاوقات متشابهة بالاضافة الى القدرة والى ذات القديم سبحانه وتعالى والفلاسفة يقولون ان مبادى الحوادث حركات الافلاك وان أدوارها مختلفة وكل شكل من تشكلاته مباين غيره من التشكلات مقرر ذلك فى براهين اقليدس اذ كل تشكل وكل عود من تلك التشكلات لا تعود بعينها وبذلك يبطلون دعوى المنجمين فى التجربة لكل عود وتشكل من تشكلات الفلك فيجوز ان يتجدد دور مباين لسائر الادوار تحدث فيه حيوانات غريبة الشكل لم ير مثلها قبلها قط واذا ألقينا حجرا فى الماء يحدث فيه شكل مستدير تكون استدارة هذا الشكل مناسبة لعمقه وكلما ازداد عمقه ازدادت تلك الدائرة فاذا ألقينا حجرا آخر قبل تمام هذه الدائرة لم يلزم ان تكون حركة الماء فى النوبة الثانية كحركته فى النوبة الاولى لان الماء فى الاولى ساكن وفى الاخرى متحرك فان تشكيل الحجر للمتحرك خلاف تشكيله للساكن فتختلف الاشكال مع تساوى الاسباب لامتزاج أثر السابق باللاحق وهب ان تشكال المتحرك وافق شكلا آخر فكيف يكون مقومات الثوابت والاوجات وسائر الجوزهرات على مثل

ما كان عليه في التشكل الاول فلا يستحيل ان يكون في التقدير الازلي للادوار دور يخالف هذه الادوار يقتضي نمطا من نظام الوجود والابداع على خلاف النمط المعهود ولا يستحيل ان يكون ذلك النمط بديعا لم يسبق له نظير ولا ان يكون حكمه باقيا لا يلحقه مثل الدور السابق المنسوخ فيبقى النمط الحاصل من الابداع مستمرا في جنسه وان كانت تتبدل أحواله ويكون معاد القيامة الكبرى حصول ذلك التشكل الغريب من الاسباب العالية ويكون ذلك سببا كليا جامعا لجميع الارواح فيعم حكمها كافة الارواح فتكون قيامة عامة مخصوصة بوقت لا تقدر القوة البشرية لمعرفتها أعني لمعرفة وقتها ولا الانبياء المرسلون عليهم الصلاة والسلام فان الانبياء أيضا يكشف لهم ما يكشف بقدر احتمالهم وقبولهم فاذا لم يقم برهان كلامي ولا فلسفي على استحالته وجب التصديق به اذ ورد الشرع به تصريحا لا يتطرق اليه الاحتمال والتأويل وقد صرح الشرع به تصريحا ضروريا يجب الايمان به ولا يمكن تأويله وكما جاز ان يحدث دور بشكل يحدث بسببه أنواع من الحيوانات لم يعهد مثلها فكذلك يجب ان يحدث زمان يحشر فيه الموتى وتجمع اجزاؤهم وتعود الى أشباحهم أرواحهم فكان الجاهل يتأمل فصل الشتاء ويتعجب ان يحصل فيه نبات وثمار اذا ورد فصل الربيع عما ذلك وبين زماني الفصلين بعد في هذه الدار فكذلك بين زمان النشأة الاولى التي تحصل للانسان بالتناسل وزمان النشأة الاخرى التي تحصل للانسان بالاحياء والاعادة كون بعيد لا يقاس أحدهما على الثاني

(فصل) عود النفس الى البدن بعد مفارقتها عنه في القيامة أمر ممكن غير مستحيل ولا ينبغي ان يتعجب منه بل التعجب من تعلق النفس بالبدن في أول الامر أظهر من تعجب عودها اليه بعد المفارقة وتأثير النفس في البدن تأثير فعل وتسخير ولا برهان على استحالة عود هذا وصيرورة هذا البدن مستعدا مرة أخرى لقبول تأثيره وتسخيره بقي ههنا تعجب من ضعفاء العقول وهو ان ذلك الاستعداد الانساني يحصل قليلا قليلا بالتدريج من نطفة في قرار مكين ثم من علقة الى تمام الخلقة واذا لم يكن كذلك لا يقبل استعداد قبول التسخير ودفع هذا التعجب انا قد بينا ان ما هو ممكن بالتدريج انما هو التوالد وأما التولد فلا يكون بالتدريج بل حدوثه ممكن دفعة واحدة الا ترى ان الفأر الذي يتوالد يكون بالتدريج وباجتماع الذكر والانثى وبعد حمل وسفاد وأن التولدي

منه يكون دفعة وانه لم يوجد قط مدر ولا تراب بعضه فأر و بعضه بالقوة قريب الى جسم
الفأر وكذلك الذباب الذي يتولد في الصيف من العفونات يكون دفعة ولم توجد
عفونة تغيرت عن حالها وصارت بالقوة قريبة الى ان تستحيل ذبابا من غير مهلة
وتدريج والنشأة الثانية تولدية من تلك الاجزاء التي كانت في الاصل وان تفرقت
وانخلعت صورها فيرد الله تعالى واهب الصور تلك الصور الى موادها ويحصل المزاج
الخاص مرة أخرى وانها نفس حدثت عند حدوث ذلك المزاج ابتداء فتعود بالتسخير
والتصرف البهائم العلاقة التي بينهما مثال ذلك راكب سفينة غرقت السفينة
وتفرقت اجزاؤها وانتقل الراكب بالسباحة الى جزيرة ثم ترد تلك الاجزاء بعينها
الى الهيئة الاولى وتوطد وتؤكد عاد اليها راكب السفينة وأجراها وتصرف فيها كما شاء
ولا يجب ان يستحق هذا الحشر وجمع الاجزاء والمزاج الجديد نفسا أخرى فان حدوث
المزاج يستحق حدوث نفس له أما عود المزاج الى الحالة الاولى فلا يستحق الا عود
النفس الى الحالة الاولى وأما ظن من ظن ان الاجزاء الارضية لا تفي بذلك فظن ووهم
لا اعتبار بهما فمن قاس الانسان والاجزاء الارضية التي فيه باجزاء الارض وأي
مهندس استخرج بالمساحة ذلك الجزء وأما الاختلاف الراجع الى ذلك في الكتب
الالهية ففي التوراة ان أهل الجنة يمكثون في النعيم خمسة عشر ألف سنة ثم يصيرون
ملائكة وان أهل النار كذا أو أزيد ثم يصيرون شياطين وفي الانجيل ان الناس
يحشرون ملائكة لا يطعمون ولا ينامون ولا يشربون ولا يتوالدون وفي القرآن ان
الناس يحشرون كما خلقهم الله تعالى أول مرة كما قال تعالى فسيقولون من يعيدنا قل
الذي فطركم أول مرة وسؤال ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى رب أرني
كيف تحيي الموتى وقول عزير عليه السلام حكاية عنه أنى يحيي هذه الله بعد موتها
فأماته الله مائة عام ثم بعثه ومكث أصحاب الكهف وهو قوله تعالى وكذلك بعثناهم
ليتساءلوا بينهم الى قوله ليعلموا ان وعد الله حق دلائل على ان هذه النشأة كائنة ممكنة
يجب الايمان بها وكان في قديم الدهر فيها اختلاف الناس والانبياء عليهم السلام
يثبتون تلك بالبراهين والامثلة المحسوسة والتعجب من النشأة الاولى أكثر من الاخرى
الا ان النشأة الاولى محسوسة مشاهدة معتادة فسقط التعجب فانا وجدنا ان انسانا
حرك نفسه فوق امرأة مرارا كما يحرك الممخض وخرج من أجزائه شيء مثل زبد سيال

فيخفى ذلك الشئ فى بعض اعضاء المرأة ويبقى مدة على هذه الحالة ثم يصير علقة ثم العلقة تصير مضغة ثم المضغة تصير عظاما ثم تكسى العظام لحما ثم تحصل فيه الحركة ثم يخرج من موضع لم يعهد خروج شئ منه على حالة لا يهلك أمه ولا يشق عليها فى ولادته ثم يفتح عينيه ويحصل فى ثدى الام شئ مثل شراب مائع لم يكن قبل ذلك فيها ويغتذى به الطفل الى ان يصير هذا الطفل بالتدريج صاحب صناعات واستنباطات بل ربما هذا الشئ الذى أصله نطفة وهو عند الولادة أضعف خلق الله يصير عن قريب ملكا جبارا قهارا ءلك أكثر العالم ويتصرف فيه فان التعجب من ذلك أكثر وأوفر من التعجب من النشأة الاخرى والاصل ان كل شئ لم يشاهده الانسان ولم يعرف سببه يحصل له منه التعجب والتعجب هيئة تحصل للانسان عند مشاهدة شئ لم يشاهده قبل ذلك أو سماع شئ لم يعرف سببه ولم يسمعه قبل ذلك ١

(فصل) تعلق النفس بالبدن كالحجاب لها عن حقائق الأمور وبالموت ينكشف الغطاء كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك ومما يكشف له تأثير أعماله مما يقربه الى الله تعالى ويبعده وهى مقادير تلك الآثار وان بعضها أشد تأثيرا من البعض ولا يمتنع فى قدرة الله تعالى ان يجرى سببا يعرف الخلق فى لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة الى تاثيراتها فى التقريب والابعاد فحد الميزان ما يتميز به الزيادة من النقصان ومثاله فى العالم المحسوس مختلف فمنه الميزان المعروف ومنه القبان للاثقال والاسطرلاب لحركات الفلك والاوقات والمسطرة للمقادير والخطوط والعروض لمقادير حركات الاصوات فالميزان الحقيقى اذا مثله الله عز وجل للحواس مثله بما شاء من هذه الامثلة أو غيرها فحقيقة الميزان وحده موجود فى جميع ذلك وهو ما يعرف به الزيادة من النقصان وصورته تكون مقدرة للحس عند التشكيل وللخيال عند التمثيل والله تعالى أعلم بما يقدره من صنوف التشكيلات والتصديق بجميع ذلك واجب

(فصل) والحساب جمع متفرقات المقادير وتعريف مبلغها وما من انسان الا وله أعمال متفرقة نافعة وضارة ومقربة ومبعدة لا تعرف فذلكتها وقد لا تحصر آحاد متفرقاتها فاذا احصرت المتفرقات وجمع مبلغها كان حسابا فان كان فى قدرة الله تعالى ان يكشف فى لحظة واحدة للعالمين متفرقات أعمالهم ومبلغ آثارها فهو أسرع الحاسبين

ومعلوم

ومعلوم ان فى قدرته ذلك فاذن هو أسرع الحاسبين قطعا وسئل أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه كيف يحاسب الله الخلق فى لحظة من غير تشويش ولا غلط فقال رضى الله عنه كما يرزقهم مع سائر الحيوانات بلا تشويش ولا غلط

(فصل) الصراط حق وما قيل فيه انه مثل الشعرة فى الدقة فهو ظلم فى وصفه بل أدق من الشعر بل لا مناسبة بين دقته ودقة الشعر وحدته وحدة السيف كما لا مناسبة فى الدقة بين الخط الهندسى الفاصل بين الظل والشمس الذى ليس من الظل ولا من الشمس و بين دقة الشعر ودقة الصراط مثل دقة الخط الهندسى الذى لا عرض له أصلا لانه على مثال الصراط المستقيم والصراط المستقيم عبارة عن الوسط الحقيقى بين الاخلاق المتضادة لذلك قد بين الله بهذا الدعاء فى سورة الفاتحة حيث قال اهدنا الصراط المستقيم وقال فى حق المصطفى صلوات الله عليه وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال تعالى شأنه وانك لعلى خلق عظيم مثال ذلك السخاوة بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن والاقتصاد بين الاسراف والاقتار والتواضع بين التكبر والدناءة والعفة بين الشهوة والجمود فهذه الاخلاق لها طرف افراط وطرف تقصير وهما مذمومان والوسط ليس من الافراط ولا من التقصير فهو على غاية البعد من كل طرف ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم خير الامور أوساطها مثال ذلك الوسط الخط الهندسى الفاصل بين الظل والشمس لا من الظل ولا من الشمس والتحقيق فى ذلك ان كمال الآدمى فى المشابهة بالملائكة وهم منفكون عن هذه الاوصاف المتضادة وليس فى امكان الانسان الانفكاك عنها بالكلية فكلفه الله تعالى بما يشبه الانفكاك وان لم يكن حقيقة الانفكاك وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد والعودى لا أبيض ولا أسود فالبخل والتبذير من صفات الانسان والمقتصد السخى كأنه لا بخيل ولا مبذر فالصراط المستقيم هو الوسط الحق بين الطرفين الذى لا ميل له الى احد الجانبين وهو أدق من الشعر فالذى يطلب غاية البعد من الطرفين يكون على الوسط ولو فرضنا حلقة حديد محماة بالنار وقعت نملة فيها وهى تهرب بطبعها من الحرارة فلا تموت الا على المركز لانه الوسط الذى هو غاية البعد من المحيط المحرق وتلك النقطة لا عرض لها فاذا الصراط المستقيم هو الوسط بين الطرفين

ولاعرض له فهو أدق من الشعر ولذلك خرج عن القدرة البشرية الوقوف عليه ولاجرم يرد أمثالنا النار بقدر ميله عنه كما قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا وقال تعالى ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فان العدل بين المرأتين في المحبة والوقوف على درجة متوسطة لاميل فيه الى احداهما كيف يدخل تحت الامكان فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم الذي يحكي الله تعالى حقيقته عن النبي صلى الله عليه وسلم وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه مر على صراط الآخرة مستويا من غير ميل لانه في هذا العالم عود نفسه التحفظ عن الميل فصار ذلك وصفا طبيعيا له فان العادة طبيعة خامسة هذا حق قطعا كما ورد به الشرع وجاء في الحديث عبر المؤمن على الصراط كالبرق الخاطف

(فصل) اللذات المحسوسة الموجودة في الجنان من أكل وشرب ونكاح يجب التصديق بها لامكانها وهي كما تقدم حسي وخيالي وعقلي أما الحسي فبعد رد الروح الى البدن كما ذكرناه وأما الكلام في أن بعض هذه اللذات مما لا يرغب فيها مثل اللبن والاستبرق والطلح المنضود والسدر المخضود فهذا مما خوطب به جماعة يعظم ذلك في أعينهم ويشتهونه غاية الشهوة وفي كل صنف وكل اقليم مطاعم ومشارب وملابس تختص بقوم دون قوم ولكل واحد في الجنة ما يشتهيه كما قال تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون وربما يعظم الله تعالى في الآخرة شهوة لا تكون تلك الشهوة معظمة في دار الدنيا كالنظر الى ذات الله تعالى فان الشهوة والرغبة الصادقة فيها في الآخرة دون الدنيا وأما الخيالي فلا يخفى امكانه ولذته كما في النوم الا أنه مستحقر لانقطاعه عن قريب فلو كانت دائمة لم يدرك فرق بين الخيالي والحسي لان التذاذ الانسان بالصور من حيث انطباعها في الخيال والحس لا من حيث وجودها من خارج فلو وجد من خارج ولم يوجد في حسه بالانطباع فلا لذة ولو بقي المنطبع في الحس وعدم الخارج لدامت اللذة وللقوة المتخيلة قدرة على اختراع الصور في هذا العالم الا أن صورها المخترعة متخيلة وليست محسوسة ولا منطبعة في القوة الباصرة فلذلك لو اخترع صورة جميلة في غاية الجمال وتوهم حضورها ومشاهدتها لم تعظم لذته لانه ليس يصير مبصرا كما في النوم فلو كانت له قوة على تصويرها في القوة الباصرة كما له قوة على تصويرها في القوة المتخيلة لعظمت

لذته

لذته ونزلت منزلة الصورة الموجودة من خارج ولا تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى الا من حيث كمال القدرة على تصوير الصورة في القوة الباصرة وكل ما يشتهيه يحضر عنده في الحال فتكون شهوته بسبب تخيله وتخيله بسبب ابصاره أي بسبب انطباعه في القوة الباصرة فلا يخطر بباله شيء يميل اليه الا ويوجد في الحال أي يوجد بحيث يراه واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام ان في الجنة سوقا تباع فيه الصور والسوق عبارة عن اللطف الالهي الذي هو منبع القدرة على اختراع الصور بحسب المشيئة وانطباع القوة الباصرة بها انطباعا ثابتا الى دوام المشيئة لا انطباعا هو معرض للزوال من غير اختيار كما في النوم في هذا العالم وهذه القدرة أوسع وأكمل من القدرة على الايجاد خارج الحس لان الموجود من خارج الحس لا يوجد في مكانين واذا صار مشغولا باستماع واحد ومشاهدته وممارسته صار مشغولا به محجوبا عن غيره وأما هذا فيتسع اتساعا لا ضيق فيه ولا منع حتى اذا اشتهى مشاهدة الشيء مثلا ألف شخص في ألف مكان في حالة واحدة لشاهدوه كما خطر ببالهم في أماكنهم المختلفة وأما الابصار الحاصل عن شخص الشيء الموجود من خارج الحس لا يكون الا في مكان واحد وحمل أمر الآخرة على ما هو أوسع وأتم للشهوات وأوفق بها أولى ولا نقص في قدرة الايجاد وأما الوجه الثالث وهو الوجود العقلي فأن تكون هذه المحسوسات أمثلة للذات العقلية التي ليست بمحسوسة لكن العقليات تنقسم الى أنواع كثيرة مختلفة اللذات كالحسيات فتكون الحسيات أمثلة لها وكل واحد يكون مثالا للذة أخرى ممارتبته في العقليات توازي رتبة المثال في الحسيات فانه لو رأى في المنام الخضرة والماء الجاري والوجه الحسن والانهار المطردة باللبن والعسل والخمر والاشجار المزينة بالجواهر واليواقيت واللآلئ والقصور المبنية من الذهب والفضة والسرر المرصعة بالجواهر والغلمان الماثلين بين يديه للخدمة لكان المعبر يفسر ذلك بالسرور ولا يحمله على نوع واحد بل يحمل كل واحد على نوع آخر من أنواع السرور وقرة العين يرجع بعضه الى سرور العلم وكشف المعلومات وبعضه الى سرور المملكة ونفاذ الامر وبعضه الى قهر الاعداء وبعضه الى مشاهدة الاصدقاء وان شمل الجميع اسم اللذة والسرور فهي مختلفة المراتب مختلفة لذوق لكل واحد مذاق يفارق الآخر فكذلك اللذات العقلية ينبغي أن تفهم كذلك وان كان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فجميع هذه

الاقسام ممكنة فيجوز أن يجمع بين الكل لواحد و يجوز أن يكون نصيب كل واحد بقدر استعداده فالمشغوف بالتقليد والجود على الصور الذى لم تنفتح له طرق الحقائق تمثل له هذه الصور واللذات والعارفون المستصغرون لعالم الصور واللذات المحسوسة يفتح لهم من لطائف السرور واللذات العقلية مايليق بهم ويشفى شرههم وشهوتهم اذ حد الجنة أن فيها لكل امرئ مايشتهيه واذا اختلفت الشهوات لم يبعد أن تختلف العقليات واللذات والقدرة واسعة والقوة البشرية عن الاحاطة بجانب القدرة قاصرة والرحمة الالهية ألقت بواسطة النبوة الى كافة الخلق القدر الذى احتملته أفهامهم فيجب التصديق بما فهموه والاقرار بما وراء منتهى الفهم من أمور تليق بالكرم الالهى ولاتدرك بالفهم البشرى وانما يدرك ذلك فى مقعد صدق عند مليك مقتدر

(فصل) أما التقرب لمشاهد الانبياء والائمة عليهم الصلاة والسلام فان المقصود منه الزيارة والاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الانبياء والائمة عليهم السلام والعبارة عن هذا الامداد الشفاعة وهذا يحصل من جهتين الاستمداد من هذا الجانب والامداد من الجانب الآخر ولزيارة المشاهد أثر عظيم فى هذين الركنين أما الاستمداد فهو بانصراف همة صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كلية همته مستغرقة فى ذلك ويقبل بكليته على ذكره وخطوره بباله وهذه الحالة سبب منبه لروح ذلك الشفيع أو المزور حتى تمده تلك الروح الطيبة بما يستمد منها ومن أقبل فى الدنيا بهمته وكليته على انسان فى دار الدنيا فان ذلك الانسان يحس باقبال ذلك المقبل عليه ويخبره بذلك فمن لم يكن فى هذا العالم فهو أولى بالتنبيه وهو مهيأ لذلك التنبيه فان اطلاع من هو خارج عن أحوال العالم الى بعض أحوال العالم ممكن كما نطلع فى المنام على أحوال من هو فى الآخرة أهو مثاب أو معاقب فان النوم صنو الموت وأخوه فبسبب النوم صرنا مستعدين لمعرفة أحوال لم نكن مستعدين فى حالة اليقظة لها فكذلك من وصل الى الدار الآخرة ومات موتا حقيقيا كان بالاطلاع على هذا العالم أولى وأحرى فأما كلية أحوال هذا العالم فى جميع الاوقات لم تكن مندرجة فى سلك معرفتهم كما لم تكن أحوال الماضين حاضرة فى معرفتنا فى منامنا عند الرؤيا ولاآحاد المعارف معينات ومخصصات منها همة صاحب الحاجة وهى استيلاء صاحب تلك الروح العزيزة على صاحب الحاجة

وكما تؤثر مشاهدة صورة الحى فى حضور ذكره وخطور نفسه بالبال فكذلك تؤثر مشاهدة ذلك الميت ومشاهدة تربته التى هى حجاب قالبه فان أثر ذلك الميت فى النفس عند غيبة قالبه ومشهده ليس كاثره فى حال حضوره ومشاهدة قالبه ومشهده ومن ظن أنه قادر على أن يحضر فى نفس ذلك الميت عند غيبة مشهده كما يحضر عند مشاهدة مشهده فذلك ظن خطأ فان للمشاهدة أثرا بينا ليس للغيبة مثله ومن استعان فى الغيبة بذلك الميت لم تكن هذه الاستعانة أيضا جزافا ولا تخلو من أثرما كما قال النبى عليه الصلاة والسلام من صلى على مرة صليت عليه عشرا (ومن أجاب المؤذن حلت له شفاعتى) ومن زار قبرى حلت له شفاعتى فالتقرب بقالبه الذى هو أخص الخواص به وسيلة تامة متقاضية للشفاعة والتقرب بولده الذى هو بضعة منه ولو بعد توالد وتناسل والتقرب بمشهده ومسجده وبلدته وعصاه وسوطه ونعله وعضادته والتقرب بعادته وسيرته والتقرب بكل ماله منها مناسبة اليه تقرب موجب للقرب اليه مقتض لشفاعته فانه لا فرق عند الانبياء فى كونهم فى دار الدنيا وفى كونهم فى دار الآخرة لا فى طريق المعرفة فان آلة المعرفة فى الدنيا الحواس الظاهرة وفى العقبى آلة تعرف بها الغيب امافى كسوة مثال واما على سبيل التصريح وأما الاحوال الاخر فى التقرب والقرب والشفاعة فلا تتغير اولكن الاعظم فى هذا الباب الامداد والاهتمام من جهة الممد وان لم يشعر صاحب الوسيلة بذلك المدد فانه لو وضع شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عضادته أو سوطه على قبر عاص أومذنب نجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب وان كان فى دار انسان أو بلدة لا يصيب تلك الدار وأهلها وتلك البلدة وسكانها ببركتها بلاء وان لم يشعر بها صاحب الدار وساكن البلدة فان اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى العقبى مصروف الى ماهو به منسوب ودفع المكاره والامراض والعقوبات مفوضة من جهة الله تعالى الى الملائكة وكل ملك حريص على اسعاف ماحرص النبى صلوات الله عليه بهمته اليه من غيره كما كان فى حال حياته فان تقرب الملائكة بروحه المقدسة بعد موته أزيد من تقربهم به فى حال حياته وقد حكى أن أباطاهر الهجرى القرمطى رفع انسانا على عنقه حتى يجر ميزاب الكعبة فمات الانسان على عاتقه وخرهو ميتا وأن جماعة من المصريين نقبوا فى جوار روضة النبى صلى الله عليه وسلم وقصدوا اخراج شخصه ونقله الى مصر كان ذلك فى

نصف الليل فسمع أهل المدينة صوتا من الهواء احفظوا انبيكم معاشر المسلمين احفظوا نبيكم فأوقدوا السراج بل أوقدوا السرج والشموع والمشاعل ورأوا ذلك النقب فى الجدار وحوله جماعة من المصريين موتى ونقل أنه صلى الله عليه وسلم غرس غصنا رطبا فى قبر انسان وقال رفع الله تعالى عن صاحبه العذاب ما دام هذا الغصن رطبا وذلك من بركات يديه صلى الله عليه وسلم وكل من أطاع سلطانا وعظمه فاذا دخل بلده ورأى فيها اسمها من جهة ذلك السلطان أو سوطا له فانه يعظم تلك البلدة فالملائكة عليهم السلام يعظمون النبى فاذا رأوا ذخائره فى دار أو بلدة أو قبر عظموا صاحبه وخففوا عليه العذاب ولذلك السبب ينفع الموتى أن توضع على قبورهم المصاحف ويتلى القرآن على رؤس قبورهم ويكتب القرآن على قراطيس وتوضع القراطيس فى أيدى الموتى فهذه أنواع المناسبات على حسب حال من يريد أن يسوى كل مسموع ومشروع على قضية معقولة والاصل فى ذلك أن وراء ما يتصوره العقلاء أمورا ورد الشرع بها ولا يعلم حقائقها الا الله تعالى والانبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده وان اجتمع الحذاق وتفكروا فى الشكل الموضوع على مناسبة الاعداد لسهولة الولادة حالة الطلق ما عرفوا تلك الخاصية فكيف يطمع الانسان أن يعرف حقائق ما ورد به الشرع من الاوامر والنواهى والاخبار والوعد والوعيد وغير ذلك والعقل ضعيف وتصرفه مختصر بالاضافة الى تلك العجائب والخواص (قد قررت) يا أخى طيب الله عيشك بعض ما يمكن التلويح اليه على وفق ما انتهت فطانتى اليه وأوصيك ومن معك بالايمان بهذه الاشياء التى ورد الشرع بتصحيحها دون التوقف فيها ونعوذ بالله من التوقف وسأهدى اليك من بعد ان وفقنى الله تعالى علقا مضنونا آخر اسمه المضنون به على أهله أحق وأولى من هذا المصنف فان فى هذا مسائل قررتها فى عدة مواضع ومسائل لم أقررها الا فى ذلك المصنف أما المضنون الموجود فقد كان عزمى على تقرير أشياء فيه لم أقررها فى شئ من كتبى اللهم الا فى احياء العلوم فان فيه تلويحات واشارات الى رموز لا يعرفها الا أهلها والله المعين الهادى وهو حسبنا واليه المرجع والمصير

(تم كتاب المضنون به على غير أهله ويليه كتاب المضنون الصغير)